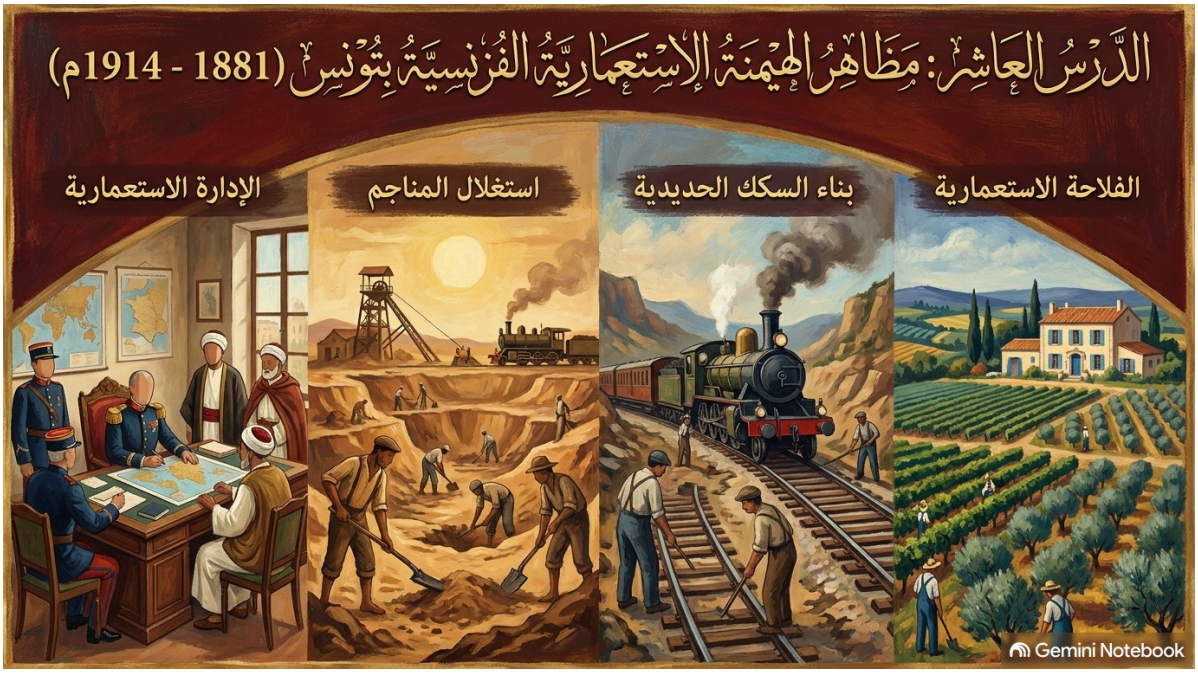


الدرس العاشر: مظاهر الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على البلاد التونسية (1881 - 1914م)

المادة: تاريخ وجغرافيا | الوحدة: التاريخ (الدرس 10) | المستوى: السنة السادسة ابتدائي (برنامج تونس)

أهداف الدرس التعلمية والتاريخية :

- تعرّف مظاهر الإدارة الاستعمارية المباشرة عقب اتفاقية المرسى (1883م): فهم تحويل الحماية التونسية إلى حكم استعماري مباشر برئاسة المقيم العام الفرنسي.
- تحليل أشكال الاستعمار العقاري والاستيلاء على الأخصب من الأراضي الفلاحية: تتبع سلب أراضي الأحباس والقبائل لصالح الجاليات والمعمرين الأوروبيين.
- دراسة طرق الاستغلال المنجمي ومدّ شبكات المواصلات والسكك الحديدية: الاستدلال على استنزاف ثروات الفسفاط والحديد وتوجيه الاقتصاد لخدمة فرنسا.
- تقييم الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة على الشعب التونسي: فهم تدهور أوضاع الفلاحين والحرفيين والتجار، وإثقال كاهلهم بالضرائب.

1. الهيمنة الإدارية وتكريس الحكم الاستعماري المباشر (1883م)

عقب فرض معاهدة باردو سنة 1881م، سارعت سلطات الاحتلال الفرنسي إلى تعميق قبضتها على مؤسسات الدولة التونسية وتجريد الباي والحكومة البيليّة من أدنى صلاحيات القرار الفعلي. وتوّج هذا المسار بفرضه «اتفاقية المرسى» في 8 جوان 1883م على علي باي، والتي نصت صراحة في مادتها الأولى على التزام الباي بإجراء جميع الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي تراها الحكومة الفرنسية مفيدة.

ونتيجة لذلك، تحوّلت «الحماية» من نظام إشراف نظري إلى إدارة استعمارية مباشرة يترأسها «المقيم العام الفرنسي» بتونس، الذي أصبح الحاكم الفعلي والفعلي الوحيد للبلاد. وتم إحداث شبكة «المراقبين المدنيين

في مختلف الجهات لمراقبة القياد والقضاة التونسيين، وإملاء القرارات والتعليمات (Contrôleurs civils) الاستعمارية، وتهميش دور المؤسسات الوطنية الاصيلة.



شكل 1: اتفاقية المرسى (1883م) وإرساء الإدارة الاستعمارية المباشرة بتونس

2. الهيمنة الاقتصادية: الاستعمار العقاري وسلب الأراضي الفلاحية

مثل الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة الدعامة الأساسية للهيمنة الاستعمارية الفرنسية في تونس؛ حيث أصدرت سلطات الحماية سنة 1885م «قانون الملكية العقارية» (المستوحى من القانون الأسترالي تورنس) للتثبيت القانوني والملكية المطلقة لفائدة المعمرين والشركات العقارية الأوروبية.

وعن طريق هذا القانون والمراسيم الاستعمارية المتتالية، تم افتكاك أخصب الأراضي الفلاحية في الشمال والساحل ومجردة (أراضي الأحباس العامّة والخاصة، وأراضي العروش والقبائل)، وتمليكها للجاليات الفرنسية والأوروبية. وتحولت الفلاحة التونسية من فلاحة معيشية متوازنة توفر القوت للطبقات الشعبية إلى فلاحة رأس مالية استعمارية موجهة بالكامل للتصدير نحو الأسواق الفرنسية (خاصة زراعة القمح اللين، الكروم لإنتاج الخمور، وحابات الزيتون الكبرى).



شكل 2: الاستعمار العقاري وتمديد شبكة السكك الحديدية والمناجم بتونس

3. الاستغلال المنجمي ومد شبكات المواصلات والمالية

إلى جانب السيطرة الفلاحية، ركزت سلطات الاحتلال على استغلال الثروات الباطنية التونسية الزاخرة؛ حيث اكتشفت مناجم الفسفاط بالحوض المنجمي بقفصة والمتلوي وشفيّر (سنة 1885م)، ومناجم الحديد والضرائب بالجريد والشمال الغربي. وتأسست شركات استعمارية احتكارية كبرى (مثل شركة فسفاط وسكك حديد قفصة) لاستخراج هذه الثروات وتصديرها خاماً لفرنسا.

ولسهولة نقل المحاصيل الفلاحية والثروات المنجمية نحو الموانئ، شيدت سلطات الحماية شبكة مكثفة من السكك الحديدية والطرقات والموانئ البحرية (كبنزرت، تونس، سوسة، وصفاقس). كما هيمنت البنوك والمؤسسات المالية الفرنسية (وعلى رأسها البنك الكبير ومصرف الجزائر وتونس) على حركة القروض والمبادلات التجارية، مما جعل الاقتصاد التونسي تابعاً كلياً للسوق الاستعمارية الفرنسية.

4. الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة على الشعب التونسي

أسفرت مظاهر الهيمنة الاستعمارية الشاملة عن تداعيات مأساوية على المكونات الاجتماعية والاقتصادية للشعب التونسي؛ حيث تحول آلاف الفلاحين الصغار إثر افتكاك أراضيهم إلى خماسة وأجراء محرومين في ضياع المعمرين الأوروبيين، أو هُجروا نحو أحزمة الفقر وحواشي المدن الرئيسية.

كما تعرضت الحرف التقليدية والصناعات المحلية (كالشاشية والنسيج والجلد) للإفلاس الكامل جراء منافسة المنتوجات المصنعة الأوروبية المعفاة من الأداءات الجمركية. وإضافة إلى ذلك، أثقلت سلطات الحماية كاهل السكان المحليين بالضرائب الاستعمارية المجحفة (كالاستعانات وضريبة المجبة واللزمة)، مما أدى إلى انتشار الفقر والأمراض والمجاعات وتعميق الوعي الشعبي بضرورة مقاومة الاستعمار.



شكل 3: تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفلاحين والحرفيين التونسيين

5. جدول ملخص لمظاهر الهيمنة الاستعمارية الفرنسية بتونس (1881 - 1914م)

النتائج والتداعيات على تونس	أبرز الإجراءات والمظاهر	ميدان الهيمنة
تحويل الحماية إلى حكم استعماري مباشر وترسيخ سلطة المقيم العام الفرنسي.	اتفاقية المرسى (1883م)، تركيز المراقبة المدنية، وسلب صلاحيات الباي والوزراء.	الهيمنة الإدارية والسياسية
تحويل الفلاحة للتصدير، تهجير الفلاحين التونسيين وتحويلهم إلى أجراء محرومين.	قانون الملكية العقارية (1885م)، مصادرة أراضي الأحباس والقبائل لصالح المعمرين.	الهيمنة الفلاحية والعقارية
استنزاف الثروات الباطنية، ربط الاقتصاد التونسي بفرنسا، وإثقال الشعب بالضرائب.	استغلال فسفاط قفصة، مد السكك الحديدية، وتأسيس البنوك والشركات الاحتكارية.	الهيمنة المنجمية والمالية

6. تمارين تقييمية ومبتكرة (مع إجابات تفاعلية)

التمرين الأول: ربط المفاهيم بالأحداث التاريخية

صل بخط كل اتفاقية أو قانون بالمضمون المناسب له:
1. اتفاقية المرسى (1883م) ◄ (أ. قانون أقر التثبيت العقاري والملكية المطلقة للمعمرين بتونس)
2. قانون الملكية العقارية (1885م) ◄ (ب. اتفاقية فرضت الحكم الاستعماري المباشر وسلب صلاحيات الباي)

شركة فسفاط قفصة ◄ (جـ. شركة احتكارية استعمارية لاستخراج وتصدير ثروات الفسفاط التونسي) .3

الإجابة النموذجية والتعليل :

• (ب ◄ 1): اتفاقية المرسى (1883م) أرست الحكم الاستعماري المباشر وسلبت صلاحيات الباي.
• (أ ◄ 2): قانون العقارات (1885م) مكن المعمرين الأوروبيين من انتزاع الأراضي الخصبة.
• (جـ ◄ 3): شركة فسفاط قفصة مجدت الاستغلال المنجمي الاحتكاري واستنزاف الثروات.

التمرين الثاني: وضعية تقييمية وتحليل نقد تاريخي

نص الوضعية: ادعى أحد الملاحظين أن «نظام الحماية الفرنسية بتونس (1881-1914م) جاء لتطوير الاقتصاد التونسي وتحسين معيشة السكان». ناقش هذا الادعاء وبيّن أخطاءه التاريخية.

الإجابة النموذجية والتحليل التاريخي :

هذا الادعاء خاطئ وتزييف للواقع الاستعماري؛ فنظام الحماية استهدف بالأساس انتزاع أخصب الأراضي الفلاحية التونسية، واستنزاف ثروات الفسفاط والحديد لصالح فرنسا، وتسبب في إفلاس الحرفيين وتجويع الفلاحين الذين تحولوا إلى أجراء محرومين تحت وطأة الضرائب المرتفعة.

7. أسئلة شائعة حول الدرس (SEO FAQ)

س: متى تم توقيع اتفاقية المرسى وما هي أهم تبعاتها السياسية؟

ج: تم توقيعها في 8 جوان 1883م، وتبعتها تحويل نظام الحماية النظري إلى إدارة استعمارية مباشرة برئاسة المقيم العام الفرنسي.

س: كيف أثر قانون الملكية العقارية (1885م) على الفلاحين التونسيين؟

ج: أدى إلى انتزاع أخصب أراضي الأحباس والقبائل وتمليكها للمعمرين الجدد، مما حول الفلاحين التونسيين إلى خماسة وأجراء محرومين.

س: ما هي أهم الثروات المنجمية التي استغلتها فرنسا بتونس بين 1881 و1914م؟

ج: استغلت أساساً مادة الفسفاط بالحوض المنجمي بقفصة والمتلوي، إضافة إلى مناجم الحديد بالجريد والشمال الغربي.

8. خلاصة الدرس المركزة

شكلت فترة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية (1881 -ـ 1914م) مرحلـة اسـتغلال مكثـف وممنهج لمقـدرات البلاد التونسـية؛ حيث أدى إرسـاء الإدارة المباشـرة والاسـتعمار العقـاري والمنجمي إلى إضـعاف النسـيج الاقتصـادي والاجتماعي التونسي، ولكنه شـكل في الـوقت ذاتـه الـدافع الرئيسـي لـبروز حركـة النضـال والمقاومـة الوطنيـة التونسية.